وذهب من ساكنٍ له شيءٌ ، كبعض ما يُسرَق من البيوت . فقال لهم : اطرَحوا البليلةَ ترابا ، فعسى أن يندم مَنْ أخذه فيُلقيَه فى التراب . ولا يُنكِرُ مجيئُه إلى ذلك المكان ، لكثرةِ من يجىء لذلك [1] . فاتّفق أنْ طُرِح ذلك الشىءُ المسروقُ فى التراب ـ وكانوا يطرحونه [2] على كُناسته ـ فرآه فغبلَ أن يراه المسروقُ منه . فأخذ منه كِراء الكُساحةِ [3] !

فهذا حديث أبى سعيد !

* الأصمعى تاجر خاسر !! :

تمشَّى قوم إلى الأصمَعىِّ مع تاجر كان اشترى ثمرتَه بخسران كان ناله ، وسأله حسنَ النظرِ والحطيطةَ [4] ، فقال الأصمَعىّ : أسمعتم بالقسمَة الضِّيزَى [5] ؟ هى واللهِ ما تريدون شيخكم [6] عليه ! اشتَرى منى على أن يكون الخسرانُ علىّ والربحُ له ! هذا وأبيكم تجارةُ أبى العَنْبَس [7] ! اذهبوا اشترَوا علىّ طعامَ العِراق على هذا الشرط [8] ! على أنّى واللهِ ما أدرى أصادقٌ هو أم كاذب .

وها هنا واحدةٌ ، وهى لكم دونى ، ولا بُدّ من أن أحتمل لكم ، إذ لم تحتملوا [9] لى . والله ما مشَيْتم معه إلاّ وأنتم تُوجبون حَقَّه ، وتوجبون رِفْدَه [10] . لو كنتُ أوجبُ له مثلَ ما توجبون ، لقد كنت أغنيتهُ عنكم . وأنا لا أعرِفه ، ولا يَضْرِينى بحقّ [11] . فَهَلُمُّوا نتوزعْ هذه الفضلةَ بيننا بالسويّة [12] . هذا أحسنُ ممن احتمل حقًّا لا يجب عليه ، فى رِضا مَنْ يجب ذلك عليه [13] .

فقاموا ولم يعودوا . فخرج إليه التاجر من حقّه ، وأيِسَ ممّا قِبَله [14] .

---

(١) لإلقاء الكناسة .
(٢) الضمير المفعول يرجع إلى الشىء المسروق .
(٣) أى أجر ما أدته إليه الكساحة من صنيع ، لأنها كانت سبباً فى رد المسروق .
(٤) يقال أنه تمشى مع رجل اشترى منه ثمرة نخلة ، فقاله فيها خسران . وسألوه حسن النظر له ، وسأله بمعنى أن يحسن النظر فى أمره ، وأن يرجحه بالنزول لهُ عن شىء من الثمن .
(٥) الغير عادلة .
(٦) يريد نفسه .
(٧) لم أتعرف عليه والذى أعرف (أبو العنبس حجر بن العنبس الحضرمى الكوفى) من الثقات فى التابعين . ذكره العسقلانى والزبيدى .
(٨) السواد هنا سواد العراق ، لخضرة أشجاره وزروعه .
(٩) واحدة : مسألة ، أى أمر ، وهى لكم دونى أى فى خيركم وصالحكم ، ولا بد من أن أعينكم مع أنكم لم تعينونى . وطريق اعانته إياهم أن يشاركهم فى تحمل ما يطلب المدين إسقاطه من الدين ، فيقسم ما يراد حطه من الدين عليه وعليهم بالسوية ، كما سيقترح .
(١٠) وحبون الإعانة أو العطاء .
(١١) يدفعنى ويمنعنى عن مطالبته والمعنى أن التاجر لا يستطيع ضرر الأصمعى بحق له عليه .
(١٢) تعالوا نوزع مقدار الحطيطة الذى يطلبه علينا بالسوية
(١٣) أى فى رضا المدين وشفعائه .
(١٤) خرج التاجر للأصمعى من الحق الذى عليه ، بدفعه الدين كاملاً ، ويئس من كل رفق من ناحيته .

* أبو عيينة ومذهبه فى البخل :

حدّثنى جعفر ابنُ أختِ واصلٍ ، قال : قلتُ لأبى عُيَيْنَةَ[1] : قد أحسنَ الذى سأل امرأته عن اللحم ، فقالت : أكله السِّنَّوْرُ . فوزن السنورَ ، ثم قال : هذا اللحمُ ، فأين السنورُ ؟ قال : كأنّك تُعَرِّضُ بى !

قال : قلتُ : إنَّك واللهِ أهلُ ذلك : شيخٌ قد قارب المائةَ ، وعليه فاضِلةٌ[2] ، وعيالُه قليلٌ ، ويُعْطَى الأموالَ على مذاكرة العلم ، والعلمُ لذّتُه وصناعتُه[3] . ثم يَرْقى إلى جوْف منزله[4] ! وأنت رِجْلٌ لك فى البستان ، ورِجْلٌ فى أصحاب الفَسِيل[5] ، ورِجْلٌ فى السوق ، ورِجْلٌ فى الكلأِ[6] : تطلبُ من هذا وِقْرَ حِصٍّ[7] ، ومن هذا وِقْرَ آجُرٍّ ، ومن هذا قطعةَ ساج[8] ، ومن هذا هكذا !

ما هذا الحرصُ ؟ وما هذا الكدُّ ؟ وما هذا الشُّغلُ ؟ لو كنتَ شاباً بعيد الأمل ، كيف كنتَ تكون ؟ ولو كنت مَدِينا كثيرَ العيال ، كيف كنتَ تكون ؟ وقد رأيتك فيما حَدَث تلبَس الأطمارَ[9] ، وتمشى حافيا نصفَ النهار[10] ـ قال : ثم الجَمْجِمُ[11] !

بلغنى أنّك فقدتَ قطعةَ بِطِّيخ ، فألححتَ فى المَسْأَلةِ عنها ، فقيل لك : أكلها السِّنَّوْرُ[12] ! فرميتَ بباقى القطعة قُدّامَ السِّنَّوْر ، لتمتحنَ صدقَهم من كذبهم ! فلمّا لم يأكلْه غرَّمتَهم ثمنَ البِطِّيخة كما هى ! قالوا لك : كان الليلُ[13] . فإن لم تكن التى أكلته من سنانير الجيران ، وكان الذى أكله سِنَّوْرَنا هذا ، فإنّك رميتَ إليه بالقطعة وهو شبعانُ منه . فأنْظِرْنا[14] ولا تُغَرِّمنا ، نمتحنْه فى حالٍ غيرِ هذه . فأبيتَ إلا إغرامهم !

قال : ويلك ! إنّى واللهِ ما أصِلُ إلى منعهم من الفساد ، إلّا ببعض الفساد[15] ! وقد قال

---

(١) من أصحاب الجاحظ .
(٢) له أموال تزيد على حاجاته .
(٣) أى أنه يؤجر على مدارسة العلم ، مع ما يشعر به فى ذلك من اللذة والميل ، فكأنه ينال أجراً على عمل شىء محبوب ، لا ألم فيه ولا مشقة .
(٤) تصعد إلى منزلك وتختفى فى داخله ، حتى لا يراك أصدقاؤك ، فتأمن دعوتهم إلى طعامك .
(٥) النخلة الصغيرة .
(٦) أى كثير التنقل لطلب المال والكلاء : مرفأ السفن ، وساحل كل نهر وذلك للشراء مما تحمله السفن .
(٧) الحمل الثقيل .
(٨) نوع من الخشب هندى الموطن .
(٩) فيما مضى ، والأطمار هو الثوب الخلق .
(١٠) فترة شدة الحر .
(١١) أخفى ألمى فى صدرى ـ وقال هنا زائدة .
(١٢) الهر .
(١٣) كان الوقت ظلاماً فلم نعرف أى هر قد أكل البطيخ .
(١٤) أخرنا وأملهنا .
(١٥) الظلم والعسف .

زيادٌ فى خطبته[1] : إنّى واللهِ ما أصِل منكم إلى أخذ الحقّ . حتى أخوضَ الباطلَ إليكم خَوْضاً . وأمّا ما لمتنى عليه اتفاقا[2] ، فإنّا[3] ذهبتُ إلى قوله : لو أنّ فى يدِى فَسِيلةً ، ثم قيل لى : إنّ القيامةَ تقومُ الساعةَ ، لبادرتُها فغرستُها . وقد قال أبو الدَّرْدَاء[4] فى وجعه الذى مات فيه : زوِّجُونى ، فإنّى أكره أنْ ألقَى اللهَ عَزَبا . والعربُ تقول : مَنْ غَلَى دِماغُه فى الصيف ، غَلَتْ قِدْرُه فى الشتاء . قال مِكْرَزٌ[5] : العَجْزُ فِراشٌ وطىءٌ ، لا يستوطِئُه إلاّ الفَشْلُ الدَّثورُ[6] . وقال عبد الله بنُ وَهْب[7] : حبُّ الهُوَيْنَى يَكسِبُ النَّصَبَ . وقال عُمَرُ بنُ الخطّاب (رضى الله عنه) : إيّاكم والراحةَ ، فإنّها غفلةٌ . وقال : لو أنّ الصبرَ والشكرَ بعيرانِ ما باليتُ أيّهما أركبُ . وقال تمعددوا واخْشَوْشِنوا[8] ، واقطعوا الرُّكُبَ ، واركبوا الخيل نَزْوا[9] . وقال لعَمْرِو بنِ مَعْدِيكرِبَ حين شكا إليه الحِقاء[10]: كذبت عليك الظهائرُ[11] وقال : احتفُوا ، فإنّكم لا تدرون متى تكون الجَفْلةُ[12] . وقال : إنْ يكن الشغل مَجْهَدَةً ، فإنّ الفراغَ مَفْسدةٌ . وقال لسعيدِ بن حاتم : احذَرِ النعمةَ كِحَذَرِك من المعصية ، ولهى أخْوَفُها عليكَ عندى . وقال : أحَذِّرُكم عاقبةَ الفراغ ، فإنّه أجمعُ لأبواب المكروه من الشغل . وقال أكْثَمُ بنُ صَيْفِى[13] : ما أحِبُّ أنّى مَكْفِىٌّ كلَّ أمرِ الدنيا . قالوا : وإنْ أسمنتَ وألبنتَ[14]؟ قال : نعم . أكره عادةَ العجز .

أفَتَرانى أدعُ وصايا الأنبياء ، وقولَ الخلفاء ، وتأديبَ العرب ، وآخذُ بقولك[15]؟

---

(١) صاحب الخطبة البتراء .
(٢) مصادفه .
(٣) فى بعض النسخ (وإنما) وهو تحريف .
(٤) الصحابى الجليل .
(٥) واحد من رجالهم وفرسانهم . قتل عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح الليثى واسمه مكرز بن الأخيف . ذكره ابن دريد فى كتابه الاشتقاق .
(٦) الضعيف المتراخى . والدثور هو الرجل البطىء الخامل .
(٧) عبد الله بن وهب الراسبى الأزدى . كان ذا علم ورأى وفصاحة وشجاعة . أردك رسولنا الكريم . وشهد فتوح العراق مع سعد بن أبى وقاص . توفى ٣٨ هـ .
(٨) تشبهوا بعيش معد بن عدنان . وكانوا أهل شظف فى العيش . فكونوا مثلهم . ودعوا التنعم وزى العجم . واخشوشنوا : عيشوا عيشاً خشناً .
(٩) ما توضع فيه القدم عند الركوب . أمرهم بقطع الركب . لأنها من ضروب الرفاهية والنعيم . ونزوا : واثبين وثوباً .
(١٠) وجع فى البطن يأتى من أكل اللحم بحتاً .
(١١) وجبت . والظهائر وهى شدة الحر .
(١٢) المشى بلا نعل . والجفلة الإسراع وراء العدو .
(١٣) من حكماء العرب . ومن خطبائهم . أدرك البعثة المحمدية وخرج فى مائة من قومه يريد مقابلة الرسول ﷺ وإعلان إسلامه . فمات فى الطريق . ولم ير النبى (ت : ٩ هـ) .
(١٤) كثر سمنك وكثر لبنك .
(١٥) أخذ بقولك من استمراء الراحة والدعة عند الغنى .

* الأشعث عند ابن خالد :

وتغدَّى محمدُ بنُ الأشعث[1] عند يحيىَ بنِ خالد . فتذاكروا الزيتَ وفضلَ ما بينه وبين السمن ، وفضلَ ما بين الأَنْفاق وزيتِ الماء[2] . فقال محمد : عندى زيتٌ لم ير الناسُ مثلَه . قال يحيى : لا تُؤْتَى منه بشىء ؟ فدعا يحيى غلامَه . فقال[3] : إذا دخلتَ الخزانةَ فانظر الجَرَّةَ الرابعةَ عن يمينك إذا دخلتَ ، فجئْنا منه بشىء .

قال يحيى : ما يُعجبنى السيِّدُ يَعرِفُ موضعَ زيته وزيتونه .

* أسد بن عبد الله والشواء :

وقرّب خبّازُ أسَدِ بنِ عبد الله[4] إليه ، وهو على خُراسان ، شِوَاءً قد أنْضَجَه نُضْجاً[5] ، وكان يُعجبه ما رطُبَ[6] من الشِّواء . فقال لخبّازه : أتظنُّ أنّ صنيعَك يخفَى علىّ ؟ إنّك لستَ تبالغ فى إنضاجه لتطييبه ، ولكنْ تستحلبُ جميعَ دَسَمِه ، فتنتفعُ بذلك منه !

فبلغتْ أخاه[7] ، فقال : رُبَّ جهل خيرٌ من علم[8] !

* رجل يتابع طعام الجوهرى :

وكان رجل يغشَى طعامَ الجوهرىّ ، وكان يتحرّى وقتَه ولا يخطِئُ . فإذا دخل والقومُ يأكلون ، وحينَ وَضْعِ الخِوان ، قال : لعن اللهُ القَدَرِيَّةَ[9] ! مَنْ كان يستطيعُ أن يصرِفَنى عن أكل هذا الطعامِ ، وقد كان فى اللوح المحفوظ أنّى سآكُلُه ؟

---

(١) قرأت عنه عند المرزبانى والأمدى . واسمه أبو الأشعث محمد بن الأشعث المروزى الشاعر ـ كان منقطعاً إلى آل طاهر وله قصيدة مشهورة فى رثاء أخيه .

(٢) يتذاكرون مزايا الزيت الذى يوضع فى الأنفاق . لتحفظه البرودة من الفساد . والزيت الذى يحيط الماء بانائه حتى لا تفسده الحرارة .

(٣) أى أين الأشعث .

(٤) أسد بن عبد الله القسرى البجلى . ولد فى دمشق السورية ـ وتوفى فى بلخ . وكان فاضلاً شجاعاً . ولاه أخوه خالد بن عبد الله خراسان سنة ١٠٨ هـ وتوفى سنة ١٢٠ هـ .

(٥) أى بالغ فى إنضاجه .

(٦) لان . ولم يبالغ فى إنضاجه .

(٧) أى هذه الحادثة .

(٨) لأن علم أخيه بدقائق الطهو وطبائع الناس . دفعه إلى قول مالا يليق بالرجل الكريم .

(٩) طائفة تناهض القدر . وترى أن للمرء اختياراً فيما يعمل وفيما يترك . ويقصد بلعنهم أنهم أخطئوا فى دعواهم . لأنهم لو صدقوا لاستطاع أن يصرف نفسه عن حضور الطعام .

فلمّا أكثَرَ من ذلك ، قال له رِياحٌ : تعالَ بالعشيِّ أو بالغداةِ . فإن وجَدتَ شيئاً فالعن القَدَرِيّةَ ، والعن آباءهم وأمهاتِهم[1] !

* طبق الخوخ :

وجاء غلامٌ إلى خالدِ بنِ صَفْوانَ[2] بطَبَقِ خَوخ ـ إمّا أن يكونَ هديّةً ، وإمّا أنّ غلامه جاء به من البستان ـ فلمّا وضعه بين يديه قال : لولا أنّى أعلم أنّك قد أكلتَ منه لأطعمتك واحدةً !

* رمضان مع شيخ أهوازى :

وقال رمضانُ : كنت مع شيخ أهْوازىٍّ فى جَعْفَرِيّة[3] . وكنتُ فى الذَّنَب ، وكان فى الصدر . فلمّا جاء وقتُ الغَداء ، أخرج من سَلّةٍ له دَجاجةً ، وفَرْخا واحداً مُبَرَّداً وأقبل يأكلُ ويتحدّثُ ، ولا يَعْرِضُ علىّ . وليس فى السفينة غيرى وغيرهُ ؟ فرآنى أنظرُ إليه مرّةً ، وإلى ما بين يديه مرّة . فتوهّم أنّى أشتهيه واستبطئه[4] . فقال لى : لِمَ تُحَدِّق النظرَ ؟ من كان عنده ، أكَلَ مثلى ، ومن لم يكن عنده ، نَظَرَ مثلك ! .

قال : ثم نظر إلىّ وأنا أنظرُ إليه ، فقال : يا هناه[5] ، أنا رجل حَسَن الأكلِ ، لا آكلُ إلا طيِّبَ الطعام . وأنا أخافُ أن تكون عينُك مالحةً ، وعينُ مِثلكِ سريعة[6] . فاصرِف عنّى وجهَك .

قال : فوثبتُ عليه ، فقبضتُ على لحيته بيدى اليسرَى ، ثم تناولت الدَّجاجةَ بيدى اليمنى . فما زلتُ أضرِب بها رأسَه ، حتى تقطّعتْ فى يدى !

ثم تحوَّل إلى مكانى فمسح وجهَه ولحيتَه . ثم أقبل علىّ فقال : قد أخبرتُك أنّ عينَك مالحة ، وأنك ستصيبنى بعين ! قلتُ : وما شَبَهُ هذا من العين[7] ؟ قال إنّما العينُ مكرُوهٌ يحدثُ . فقد أنزلتْ بنا عينُك أعظمَ المكروه[8] !

---

(١) أى لا شأن هنا للقدرية .

(٢) خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التيمى المنقرى ـ من فصحاء العرب المشهورين . كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك . وله معهما أخبار . بصرى المولد . كان أيسر أهل البصرة مالاً . لم يتزوج ـ مات حوالى ١١٥ هـ .

(٣) من الأهواز . الجعفرية : السفنية .

(٤) اشتهى ما بين يديه . واستبطئه فى دعوتى إلى مشاركته فى الأكل .

(٥) يا فلان .

(٦) سريعة التأثير الضار .

(٧) ما صلة هذا بتأثير العين .

(٨) حرمانه من الدجاجة .

فضحِكتُ ضَحِكاً ما ضحِكتُ مثلَه . وتكالمنا حتّى كأنه لم يقل قبيحا ، وحتّى كأنى لم أُفْرَطْ عليه [1]

* أحاديث لا تصلح :

هذه مُلْتَقَطاتُ أحاديثِ أصحابِنا وأحادِيثنا ، وما رأينا بعيوننا . فأمّا أحاديثُ الأَصْمَعى وأبى عُبَيْدَةَ[2] وأبى الحسن [3] ، فإنّى لم أجد منها ما يصلح لهذا الموضع ، إلاّ ما قد كتبتهُ فى هذا الكتاب ، وهى بِضْعَةَ عَشَرَ حديثاً .

* جدى المغيرة :

قالوا : كان للمُغِيرَة بنِ عبد الله بنِ أبى عَقِيل الثّقَفِىِّ [4] ، وهو على الكوفةِ ، جَدْىٌ يُوضع على مائدته بعد الطعام . ولم يكن أحدٌ يَمَسُّه ، إذ كان هو لا يمسُّه ! فأقْدَم عليه أعرابىٌّ يوماً ، ولم يعرف سِيرةَ أصحابِنا فيه[5] ، فلم يرضَ بأكل لحمه ، حتى تعرَّق[6] عظمَه . فقال له المغيرةُ : يا هذا ! تطالب عِظام هذا الجدى بذَحْل[7] ؟ هل نطحتْك أُمُّه ؟

وكان الأصمعى يقول : إنما قال : يا هذا ! تطالب عظام هذا البائس بذحل؟ هل نطحتك أمّه ؟

قال [8] : وكان على شُرْطَتِه عبدُ الرحمن بنُ طارق ، فقال لرجل من الشُّرط [9] : إنْ أقدمت عَلَى جَدْىِ الأمير أسقطتُ عنك نَوْبةَ سَنَةٍ[10] . فبلغه[11] ذلك ، فشكاه إلى الحَجّاج ، فعزله ، وولّى مكانَه زيادَ بنَ جُدَيد . فكان أثقلَ عليه من عبد الرحمن . ولم يقدر على عزله ، إذ كان من قِبَل الحَجّاج . فكان المُغيرةُ إذا خطب قال : يا أهلَ الكوفة ! مَنْ بغاكم الغوائلَ[12] ، وسعى بكم إلى أميركم ، فلعنه اللهُ ، ولعن أمَّه العوراء ! وكانت أمُّ زيادٍ عوراء . فكان الناس يقولون : ما رأينا تعريضاً قطُّ أطيبَ من تعريضه ! .

* خبر جدى لا يمسه أحد :

قالوا : وكان لزيادٍ الحارثىِّ[13] جَدْى لا يمسُّه ، ولا يمسُّه أحد ! فعشَّى فى شهر رمضان قوماً

---

(١) لم أسرع بعقوبته .
(٢) ، (٣) سبق وعرفنا بهما .
(٤) كان على الكوفة من قبل الحجاج بن يوسف الثقفى .
(٥) عادة ضيوف المغيرة فى عدم الأكل من الجدى .
(٦) أكل ما عليه من اللحم .
(٧) طلبه له . والغوائل جمع غائلة وهى الفساد والشر .
(٨) من أمراء بنى مروان . قائد شجاع ، كان والياً على الكوفة عند الانقلاب العباسى . ت : ١٣٥ هـ .
(٩) الثأر .
(١٠) الضمير يرجع للأصمعى او للراوى .
(١١) أعوان الوالى .
(١٢) أعفيتك سنة من نوبات حراستك .
(١٣) بلغ المغيرة ذلك .

فيهم أَشْعَبُ[1] . فعرَضَ أشعبُ للجَدْى من بينهم . فقال زيادُ : أمَا لأهل السجْن إمامٌ يصلِّى بهم ؟ قالوا : لا . قال : فَلْيُصَلِّ بهم أشعبُ . فقال أشعبُ : أو غيرُ هذا[2] ـ أصلح الله الأمير ـ قال : وما هو ؟ قال : أحْلِفُ بالمُحْرِجاتِ[3] ألّا آكُلَ لحمَ جَدْى أبداً !

* الذئبى مع المسكين :

قالوا : دعا عبدُ الملك بنُ قَيْس الذِّئبىّ رجلا من أشراف أهل البَصْرة . وكان عبدُ الملك بخيلا على الطعام ، جَواداً بالدراهم . فاستصحب الرجلُ ساكناً[4] . فلما رآه عبدُ الملك ضاق به ذَرْعاً . فأقبل عليه فقال له : ألفُ دِرْهم خيرٌ لك من احتباسك علينا[5] ! واحتملَ غُرْمَ ألف درهم ، ولم يحتمل أكلَ رغيف !

* أعرابى على مائدة الخليفة :

وتناول أعرابىٌّ من بينِ يَدَىْ سليمانَ بنِ عبد الملك[6] دَجاجةً ، فقال له : يكفيك ما بين يديك وما يليك . قال الأعرابىّ : ومنها شىءٌ حِمى[7] ؟ قال : فخذها ، لا بُورك لك فيها !

* « صعصعة » مع معاوية :

قال[8] : وكان مُعاويةُ تُعجبه القِبّةُ[9] . وتغدَّى معه ذات يوم صَعْصَعَةُ بنُ صَوْحانَ[10] ، فتناولها صعصعةُ من بين يَدَىْ معاويةَ . قال معاويةُ : إنّك لبعيدُ النُّجْعَةِ[11] ! قال صعصعةُ : مَنْ أجْدَب انتجع[12] !

---

(١) أشعب بن جبير الطامع . من ظرفاء المدينة . كان مولى لعبد الله بن الزبير . تأدب . وروى الأحاديث . كان يحب الغناء ، يضرب المثل به فى الطمع والتطفل . درك عثمان وتوفى : ١٥٤ هـ بعد أن عمر طويلاً .

(٢) غير هذا خير منه وأولى .

(٣) الإيمان التى تضيق محال الحالف .

(٤) المسكين .

(٥) من حبس نفسك علينا . وانقطاعك بمجالستنا .

(٦) الخليفة الأموى المشهور . كان عاقلاً فصيحاً . جهز جيشاً وسيره فى السفن بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك . لحصار القسطنطينية . ت (٩٩ هـ) .

(٧) محمى لا يرعاه غير أهله .

(٨) الذى قال هو الراوى .

(٩) الكرش .

(١٠) من سادات عبد القيس . كان خطيباً بليغاً عاقلاً ـ شهد صفين مع معاوية ت (٦٠ ـــ)

(١١) طلب الكلاء فى موضعه .

(١٢) عمدت لتناول القبة من بين يديك . لأنه ليس أمامى شىء .

* هشام مع أصحابه :

وقال : دخل هِشامُ بنُ عبد الملك[1] حائطاً[2] له ، فيه فاكهةٌ وأشجار وثِمار ، ومعه أصحابُه . فجعلوا يأكلون ويدعُون بالبركة ! فقال هشام : يا غلامُ ! اقلَع هذا ، واغرس مكانَه الزيتونَ[3] !

* المغيرة يأكل تمراً :

قال : وكان المُغِيرةُ بنُ عبد الله بن أبى عَقِيلٍ الثَّقَفِىُّ يأكل تمرا هو وأصحابُه . فانطفأ السِّراج . وكانوا يلقون النوى فى طَست . فسمِع صوتَ نواتين ، فقال : مَنْ هذا الذى يلعب بكَعْبَين[4] ؟

* دار حويطب :

وقالوا : باع حُوَيْطِبُ بنُ عبد العُزَّى دارا من معاويةَ بخمسةٍ وأربعين ألفَ دينار . فقيل له : أصبحتَ كثيرَ المال[5] . قال : وما منفعةُ خمسةٍ وأربعين ألفاً مع ستّة من العيال ؟

* سائل لا يعجبه ما أخذ :

وقالوا : سأل خالدَ بنَ صَفْوانَ رجلٌ فأعطاه دِرْهماً ، فاستقلّه السائل ، فقال : يا أحمقُ ! إنّ الدِّرهم عُشْرُ العشرة[6] ، وإنّ العشرةَ عُشرُ المائة ، وإنّ المائةَ عُشر الألف ، وإنّ الألف عشر العشرة الآلاف[7] . أما ترى كيف ارتفع الدرهمُ إلى دِيَةِ مسلم[8] !

* نادرتان لابن أبى بردة :

قالوا : كان بِلالُ بنُ أبى بُرْدَة[9] قد خاف الجُذَامَ ، وهو والى البَصْرةِ . فوصفوا له الاستنقاعَ[10] فى السَّمْن . فكان إذا فَرَغ من الجلوس فيه ، أمر ببيعه . فاجتنبَ الناسُ فى تلك

---

(١) بويع بالخلافة فى دمشق بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥ هـ .
(٢) بستانا .
(٣) طلب إلى غلامه أن يغرس مكان أشجار الفاكهة زيتونا . حتى لا يستطاع أكله .
(٤) لعب النرد .
(٥) أى ثرياً ـ وحويطب بن عبد العزى القرشى كان عالماً بالأخبار والأنساب وراوياً للأشعار .
(٦) ١٠/١ عشرة الدراهم .
(٧) فى نسخ محرفة ١٠/١ العشرة آلاف .
(٨) بدل النفس المقتولة وكلام خالد فيه مغالطة وتمويه .
(٩) عرفنا به .
(١٠) أى النزول فيه ليغتسل ويبرد .

السنةِ أكلَ السمن .

وكان يُفَطِّر الناسَ فى شهر رمضانَ . فكانوا يجلسون حَلَقاً ، وتوضع لهم الموائد . فإذا أقام المؤذِّنُ ، نهض بِلالٌ إلى الصلاة . ويَسْتَحِى الآخَرون . فإذا قاموا إلى الصلاة ، جاء الخبّازون فرفعوا الطعام[1] !

* خبران عن الأسدى :

قال : واحتقن عُمَرُ بنُ يزيدَ الأسَدىُّ[2] بحقنة فيها أدْهانٌ . فلما حرّكته[3] بطنُه كره أن يأتىَ الخَلاَء ، فتذهبَ تلك الأدهانُ . فكان يجلس فى الطَّسْت ، ويقول : صَفُّوا هذا ، فإنّه يصلح للسراج !

قال : وخبَّرنا جارٌ له قال : رأيته يتخلّل من الطعام بخِلالٍ واحدٍ شهراً ، كلّما تغدَّى حذف من رأسه شيئاً ، ثم تخلّل به ، ثم وضعه فى مَجْرَى دواته[4] .

* ذراع الذراع مع ابن صفوان :

وقالوا : كان ذِراعُ الذرّاعُ مع خالدِ بنِ صَفْوان . فوضعوا بين يديه دَجَاجة ، وبين يديه شىءٌ من زيتون . فجعل[5] يلحَظُ الدَّجاجةَ . فقال : كأنّك تَهُمُّ بها ! قال : ومَنْ يمنعنى ؟ قال : إذاً أصير أنا وأنت فى مالى سواءً[6] !

* أبو الأشهب ونُميلة :

قال : ومدَّ يدَه أبو الأشهب إلى شىء بين يَدَى نُمَيْلَةَ بنِ مُرَّة السَّعْدىِّ ، فقال : إذا أُفْرِدْتَ بشىء فلا تعترضْ لغيره .

قالوا : ومات وعليه للدَّقاق وحدَه ثمانونَ ألفَ دِرسم . لكثرة طعامه[7] !

---

(١) الطباخون الذين يضعون الطعام على الخوان .

(٢) شجاع . رئيس . من المقدمين أيام بنى مروان . كان يسمى « رجل العراق » .

(٣) على لغة فى تأنيث البطن .

(٤) ما توضع فيه الأقلام أو أدوات الكتابة .

(٥) الضمير فى (يديه) يرجع لخالد بن صفوان . وضمير (يديه) الثانية يعود إلى ذراع الذراع . والضمير فى (جعل) يعود على ذراع الذراع .

(٦) مع أن الحق يقضى بتفضيل صاحب المال وتميزه .

(٧) يريد الجاحظ أن يشير إلى أن البخل لا ينافى كثرة الإنفاق . لأنه نوبات من اللؤم تكشف عن صاحبها . وإن كثيرا ما ينفق على نفسه .

* ابن أيوب وجرير :

وقالوا : كان الحَكَمُ بنُ أيّوبَ الثَّقَفِيُّ[1] عاملا للحجّاج على البَصْرة . واستعمل على العِرْقِ[2] جريرَ بنَ بَيْهَسٍ المازنيَّ ، (ولَقَبُ جريرٍ العَطَرَّقُ) . فخرج الحَكَمُ يتنزّهُ ، وهو باليمامة[3] . فدعا العَطَرَّقَ إلى غَدائه . فأكل معه ، فتناول دُرَّاجةً[4] كانت بين يديه ، فعزله ، وولىَّ مكانه نُوَيْرَةَ المازنيَّ . فقال نويرةُ ، وهو ابنُ عمِّ العَطَرَّقَ :

قد كان فى العِرْق صيدٌ لو قنِعتَ به ... فيه غِنىً لك عن دُرَّاجةِ الحَكَم
وفى عَوارِض[5] لا تنفكُّ تأكلُها ... لو كان يشفيك لحم[6] الجُزْرِ من قَرَم[7]
وفى وِطابٍ[8] مُمَلَّاةٍ مُشَمَّمَةٍ ... فيها الصريحُ الذى يَشْفى من القَرَم

ولمّا ولّى مكانَه نُوَيرةَ ، بلغه أنه ابنُ عمٍّ له فعزله . فقال نويرةَ :

أبا يوسف لو كنتَ تَعرِف طاعتى ... ونُصْحِى إذاً ما بعتنى بالمُحَلَّقِ[9]
ولا سَاقَ سَرَّاقُ العُراقةِ صالحٌ ... بَنِىَّ ولا كُلِّفْتُ ذنبَ العَطَرَّقِ[10]

فذهبت مثلا .

* من بخل أمير :

وتناول رجلٌ من قُدّام أميرٍ كان لنا ، ضَخْمٍ ، بَيْضَةً ، فقال : خذها فإنّها بيضة العُقْرِ[11] فلم يزل محجوبا حتى مات .

وأُتِى ضَيْعَةً له يتنزّه إليها ، ومعه خمسةُ رجال من خاصّته ، وقد حملوا معه طعامَ

(١) من العقلاء أصحاب الذكاء والفطنة . (٢) مكان بالبصرة .
(٣) موضع بالقرب من البصرة والكوفة .
(٤) طائر يؤكل لحمه .
(٥) العوارض هى الماشية التى يصيبها داء أو كسر فتذبح .
(٦) جمع جزور : الناقة المذبوحة .
(٧) القرم : شدة شهوة اللحم .
(٨) الوطاب هو وعاء اللبن ، ومملاة : مملوء ، مشممة : مغطاة بنبت اسمه الثام ، والصريح : اللبن الخالص .
(٩) من حل محله .
(١٠) العراقة العظمة عليها لحم ، والمعنى : لو كنت تعرف طاعتى ونصحى ما مكنت صالحا سراق العراقة من أن يذل أولادى ، ولا أخذتنى بذنب العطرق ابن عمى .
(١١) يقصد أخر أكل لك على مائدتى .

خَمْسمائة[1] . وثقُل عليه أن يأكلوا معه . واشتدَّ جوعهُ . فجلس على مَشَارةٍ[2] بَقْل . فأقبل ينتزع الفُجْلةَ فَيَطْوِى جزَرتها بعُرقها ، ثم يأكلُها ، من غير أن تُغْسَل ، من كَلَب[3] الجوع ، ويقول لواحدٍ منهم كان أقربَ الخمسةِ إليه مجلساً : لو قد ذهب هؤلاء الثقلاءُ لقد أكلْنا !

* على مائدة معاوية :

قالوا : وأكل عبد الرحمن بنُ أبى بَكْرَةَ على خِوانِ معاويةَ ، فرأى لَقَمَ عبدِ الرحمن فلمّا كان بالعَشىِّ ، وراح إليه أبو بَكْرَةَ ، قال : ما فعل ابنُك التِّلقامةُ ؟[4] قال : اعتلّ . قال : مثلُه لا يعدَم العلّة !

* حكايتان لأبى الأسود الدؤلى :

وأكل أعرابىٌ مع أبى الأسود الدُّؤلىّ . فرأى له لَقَماً مُنْكرا . وهاله ما يصنع . قال له : ما اسمُك ؟ قال لُقْمان . قال : صدق أهلُك ، أنت لقمان !

قالوا : وكان له دُكّانٌ لا يسَع إلّا مقعَده . وطُبَيْقاً يوضع بين يديه . وجعله مرتفعاً[5] ، ولم يجعل له عَتَباً ، كى لا يرتقى إليه أحدُ . قالوا : فكان أعرابىٌّ يتحيّنُ وقتَه[6] . ويأتيه على فرس ، فيصيرُ كأنّه معه على الدكان . فأخذ دَبَّةً[7] وجعل فيها حَصىً[8] . واتّكأ عليها . فإذا رأى الأعرابىَّ قد أقبل ، أراه كأنّه يُحوِّل مُتّكأَه . فإذا قعقعتِ الدَّبَّةُ بالحصَى نَفَرَ الفرسُ .

قالوا : فلم يزل الأعرابىُّ يُدنيه[9] . ويُقعقِع[10] هو به ، حتى نفَر منه فصرَعه . فكان لا يعود بعد ذلك إليه .

* رسالة أبى العاصِ بنِ عبدِ الوهاب بنِ عبدِ المجيد الثَّقَفىِّ إلى ابن التوأم :

أمّا بعدُ فإنّ جلوسَك إلى الأصمَعىِّ ، وعُجْبَكَ بسهل بنِ هارونَ ، واسترجاحَك إسماعيل[11] ابنَ غَزْوانَ ، وطعنَك على مُوَيْسِ بنِ عِمْرانَ[12] ، وخلْطَتَكَ بابْن مُشَارِك ، واختلافَك إلى ابْنِ

(١) يريد الجاحظ أن يصور الرجل بالبخل مع كثرة الطعام
(٢) مزرعة .
(٣) شدة .
(٤) كبير اللقمة .
(٥) الدكان .
(٦) يعنى وقت أكله .
(٧) قرعة .
(٨) الدبة جوفاء .
(٩) يدنى الفرس .
(١٠) بالحص .
(١١) أى استرجاع مذهبه .
(١٢) كان من الكرماء على عكس المذكورين سلفاً

التَّوْأَمِ ، وإكْثارَك من ذكرِ المال وإصلاحِه ، والقيامِ عليه واصطناعِهِ ، وإطْنابَك فى وصفِ التَّروِيج والتثْمير ، وحسنِ التَّعَهُّد والتَّوْفير ـ دليلٌ على خَبِىء سوءٍ ، وشاهدٌ على عيبٍ مادبار[1] ؛ بعد أن كنتَ تستثْقِلُ ذِكرَهم ، وتَسْتَشْنِعُ فِعْلَهم ، وتتعجبُ من مذهبهم ، وتُسرفُ فى ذَمِّهم .

وليس يلهَجُ بذكر الجَمْع[2] ، إلّا من قد عزم على الجمع ، ولا يأنَس بالبخلاء ، إلّا المستوحشُ من الأسخياء

وفى تحفُّظِك قولَ سهلِ بنِ هارونَ : « فى الاستعدادِ فى حال المُهْلة[3] ، وفى الأَخْذ بالثقة[4] ، وأن أَقْبَح التفريط ما جاء مع طول المدّة ، وأنّ الحَزْمَ كلَّ الحزمِ ، والصوابَ كلَّ الصواب ، أنْ يُستَظْهَر على الحَدَثَان[5] ، وأن يُجعلَ ما فَضَل عن قِوام الأَبدان ، رِدْءاً دونَ صروف الزمانِ ، وأنّا لا نُنْسَب إلى الحكمة ، حتى نُحوطَ أصل النِّعْمةِ ، بأن نجعل دون فضولها جُنّة[6] » ـ شاهدٌ على عُجْبك بمذْهبه ، وبرهانٌ على ميلك إلى سبيله .

وفى استحسانك روايةَ الأَصْمَعىِّ فى « أنّ أكثرَ أهلِ النار النساءُ والفقراءُ ، وأنّ أكثرَ أهل الجنّة البُلْه والأغنياءُ ، وأنّ أربابَ الدُّثُور[7] ، هم الذين ذهبوا بالأجور[8] » ـ برهانٌ على صحّة حكِمنا عليك ، ودليلٌ على صواب رأْينا فيك . وفى تفضيلك كلامَ ابنِ غَزْوانَ ، حين قال :

« تنعَّمْتُمْ بالطعامِ الطيّبِ ، وبالثياب الفاخرة ، وبالشراب الرقيق ، وبالغِنَاء المطرب ؛ وتنعّمنا بعزِّ الثروةِ ، وبصواب النظر فى العاقبة ، وبكثرة المال ، والأَمْن من سوء الحال ، ومن ذُلّ الرغبة إلى الرجال ، والعجزِ عن مصلحة العيال ـ

فتلك لذّتُكم ، وهذه لذّتنا . وهذا رأْينا فى التسلُّم من الدمّ ، وذاك رأْيُهم فى التعرُّضِ للحمد . وإنّما ينتفع بالحمد السليمُ الفارغُ البالِ ، ويُسُرُّ باللذات الصحيحُ الصادقُ الحِسّ . فأمّا الفقيرُ فما أغناهُ عن الحمد ، وأفقرَه إلى ما به يجد طَعْمَ الحمد !

والطعامُ الذى آثرتموه يعود رَجيعا ، والشرابُ يصير بَوْلا ، والبناءُ يعود نِقْضاً[9] . والغِناء ريحٌ هابّةٌ ، ومُسقِط للمُرُوءة ، وسَخافةٌ تُفْسِدُ ، وَرِنَّةُ تسير[10] . فلذّتُكم فيما حوَى لكم الفقرَ ، ونقَضَ المروءةَ ؛ ولذّتُنا فيما حوى لنا الغِنَى ، وبنَى المُرُوءةَ . فنحن فى بناءٍ ، وأنتم فى هدْم ؛ ونحن

---

(١) فساد .
(٢) جمع المال .
(٣) أى الاستعداد لحوادث الزمان بجمع المال .
(٤) بالأمر الموثوق .
(٥) يستعان على ثواب الدهر .
(٦) الجنة : الوقاية ، أى تقى وتحفظ ما يفضل من المال .
(٧) الأموال .
(٨) نالوا الثواب .
(٩) بناء مهدوماً .
(١٠) تذهب فى الهواء .

فى إبرام ، وأنتم فى نَقْض ؛ ونحن فى التماس العزِّ الدائم ، مع فَوْت بعض اللَّذةِ ، وأنتم فى التعرّض للذّل الدّائِم ، مع فَوْت كلِّ مُرُوءةٍ » .

وقد فهمنا معنى حكايتك ، وما لهِجْتَ به من روايتك . والدليلُ على انتقاضِ طباعِك ، وإدبارِ أمرك ، استحسانُك ضدَّ ما كنتَ تستحسن ، وعِشقُك لِما لم تزل تمقُت . فبُعْداً وسُحْقاً ! ولا يُبعد اللهُ إلا من ظَلَم !

والشاعرُ أبصرُ بكم حيث يقول :

فإن سَمِعْتَ بهُلْكٍ للبخيلِ فقلْ : بُعداً وسُحقاً له من هالك مُودِى !
تُـرائُـهُ جَـنَّـةٌ لـلـوارثين أذا أوْدَى ، وجُـثْمانـه لـلـتُّـرْبِ والدُّود

وقال آخر :

تَـبْـلَـى محاسنُ وجـهـه فى قبره والمالُ بين عـدوِّه مـقـسومُ

والحمد لله الذى لم يُمِتْنى حتى أرانيك[1] وكيلاً فى مالك ، وأجيراً لوارثك .

وأمّا أنت فقد تعجّلْتَ الفقْرَ قبل أوانه ، وصرتَ كالمجلودِ فى غير لذّة .

وهل تزيد حالُ من أنفقَ جميعَ مالِه ، ورأى المكروهَ فى عياله ، وظهر فقْرُهُ ، وشمِت به عدوُّه ، على أكثرَ من انصراف المؤْنسين عنه ، وعلى بُغْض عياله[3] ، وعلى خُشونة الملبَس ، وخُشُونة المأكل ؟ وهذا كلّه مجتمع فى مَسْك البخيل ، ومصبوبٌ على هامةِ الشحيح ، ومُعجَّل للئيم ، وملازم للمَنوع ؛ ألَا إنّ المُنْفِقَ قد ربح المَحْمَدَةَ ، وتمتّع بالنعمةِ ، ولم يعطِّل المقدُرة ، ووفّى كلّ خَصْلَةٍ من هذه حقَّها ، ووفّر عليها نصيبَها ؛ والممسكُ معذّبٌ بحصْرِ نفسه ، وبالكدِّ لغيره ؛ مع لزوم الحُجّة[4] ، وسقوط الهمة ، والتعرّض للذمِّ والإهانة ، ومع تحكيم المِرّة[5] السوداء فى نفسه ، وتسليطِها على عِرضه ، وتمكينِها من عيشه وسرورِ قلبه .

ولقد سرَى إليك عِرْقٌ[6] ، ولقد دخل أعرَاقَك جَوْر ، ولقد عَمِلَ فيها قادِح ، ولقد غالها غُول ؛ وما هذا المذهبُ من أخلاقِ صميمٍ نَقيف ، ولا من شِيَمٍ أعْرَقَتْ فيها قُرَيش . ولقد عَرَض لك إقْرافٌ[7] ، ولقد أفْسدَتْك هُجْنةٌ . ولقد قال معاويةُ : من لم يكن من بنى

(١) أراني إياك .
(٢) لورثتك . لأنه لا تنتفع به .
(٣) بغضهم له .
(٤) عليه .
(٥) المزاج الأسود المضطرب .
(٦) عرق خسيس لم يكن فيك .
(٧) الأقراف : أن تكون الأم عربية والأب ليس عربياً .

عبد المُطَّلب جواداً فهو دخيلٌ ، ومن لم يكن من آل الزُّبَيْر شجاعاً فهو لَزِيقٌ ، ومن لم يكن من بنى المُغِيرةِ تيّاهاً فهو سَنِيد[٢] . وقال سَلْم بنُ قُتَيْبَة : إذا رأيت الثَّقَفِيَّ يَعِزّ من غير طعام[١] ، ويكسِبُ لغير إنفاق ، فبَهْرِجْهُ[٣] ثم بَهْرِجْهُ ثم بَهْرِجْه . وقال بلالُ بنُ أبى بُرْدةَ : لولا شبابُ ثَقيف وسفهاؤهم ماكان لأهل البَصْرة مال[٤] .

إنّ الله جوادٌ لا يبخَل ، وصَدُوقٌ لا يكذِب ، وَوَفِيٌّ لا يغْدِر ، وحليمٌ لا يَعْجَل ، وعَدْل لا يظْلِم . وقد أَمَرَنا بالجود ، ونهانا عن البخل ، وأمرنا بالصدق ، ونهانا عن الكذِب ، وأمرنا بالحلم ، ونهانا عن العَجَلة ، وأمرنا بالعدل ، ونهانا عن الظلم ، وأمرنا بالوفاء ، ونهانا عن الغدر .

فلم يأمرْنا إلا بما اختار لنفسه ، ولم يزجرْنا إلا عمّا لم يرضه لنفسه . وقد قالوا بأجمعهم : إن الله أجودُ الأجودِين ، وأمجدُ الأمجدِين ، كما قالوا : أرحمُ الراحمين ، وأحسنُ الخالقين . وقالوا فى التأديب لسائليهم ، والتعليم لأَجْوادِهم : لا تُجَاوِدُوا[٥] الله ، فإنّ اللهَ ـ جلَّ ذكرُهُ ـ أَجودُ وأمجدُ . وذكرَ نفسَه ـ جلّ جلالُه ، وتقدّسَتْ أسماؤه ـ فقال : ﴿ **ذو الفضل العظيم** ﴾ و ﴿ **ذى الطَّوْل ، لا إله إلاّ هو** ﴾ . وقال : ﴿ **ذو الجلال والإكرام** ﴾ .

وذكروا النبىّ ﷺ ، فقالوا : لم يضع دِرْهما على دِرْهم ، ولا لَبِنَةً على لَبِنَة . ومَلَكَ جزيرةَ العرب ، فقبض الصدقاتِ ، وجُبِيَتْ له الأموالُ ، ما بين غُدْرانِ العِراقِ إلى شَحْر[٦] عُمَانَ ، إلى أقصى مَخَاليفِ[٧] اليمن . ثم تُوُفِّى وعليه دَيْنٌ ، ودِرْعُهُ مرهونةٌ . ولم يُسْأَلْ حاجةً قطُّ فقال : لا . وكان إذا سُئِل أعْطَى ، وإذا وعدَ أو أطْمَعَ كان وعدهُ كالعِيان ، وإطْماعهُ كالإنجاز . ومدحته الشعراءُ بالجُود ، وذكرته الخطباءُ بالسَّاح . ولقد كان يَهَبُ للرجل الواحدِ الضاجعة[٨] من الشَّاءِ ، والعَرْجَ[٩] من الإبِلِ ـ وكان أكثرُ ما يهبُ المِلكُ من العرب مائةَ بعير ، فيقال : وهَب هُنَيْدةً[١٠] . وإنّما يقال ذلك ، إذا أريد بالقول غايةُ المدح ـ ولَقَد وَهَب لرجل أَلفَ بعير . فلما رآها تزدحمُ فى الهوادِى قال : أشْهَدُ أَنّك نبىٌّ . وما هذا ممّا تجودُ به الأنفُسُ .

وفَخَرت هاشم على سائر قريش فقالوا : نحن أطْعمُ للطعام ، وأضربُ لِلْهام . وذكرها بعض العلماء فقالوا : أجوادٌ أمجادٌ ، ذوو السنة حِدادٍ . وأجمعت الأمم كُلُّها بخيلُها وسخيُّها ومَمْزُوجُها[١١] ، على ذمِّ البخلِ ، وحمد الجود ، كما أجمعوا على ذَمِّ الكذب وحمد الصدق .

---

(١) عكس الاقراف .
(٢) دعى من غير أن يطعم الناس .
(٣) أهمله .
(٤) لكثرة ما ينفقون فيها .
(٥) لا تحاولوا ان تبلغوا مداه فى الجود .
(٦) ساحل البحر بين عمان وعدن .
(٧) كورها وقراها .
(٨) الغنم الكثيرة .
(٩) القطيع من الإبل نحو الثمانين .
(١٠) اسم للمائة من الإبل .
(١١) من امتزج فيه السخاء والبخل .

وقالوا : أفضلُ[1] الجودِ ، الجودُ بالمجهودِ . وحتّى قالوا فى جُهْدِ المُقِلّ[2] . وفيمن أخرج الجُهد وأعطَى الكُلّ . وحتّى جعلوا لمن جاد بنفسه ، فضيلةً على من جاد بماله ، فقال الفرزْدَقُ :

على ساعةٍ لو كان فى القوم حاتمٌ على جوده ضَنَّتْ به نفْسُ حاتم[3]

ولم يكن الفرَزْدقُ ليضربَ المَثَلَ فى هذا الموضع بكعبِ بن مامةَ ، وقد جاد بحَوْبائِه عند المُصَافَنَةِ[4] . فما رأينا عربياً سفَّه حلمَ حاتم لجوده بجميع ماله . ولا رأينا أحداً منهم سفّه حِلْمَ كعبٍ على جوده بنفسه ، بل جعلوا ذلك من كَعْبٍ لإيادٍ مفْخَراً[5] . وجعلوا ذلك من حاتم طَيِّىء مَأْثُرَةً لقَحْطانَ على عَدْنان ، ثم للعرب على العجم . ثم لسكّان جزيرة العرب ولأَهلِ تلك البَرِّيّة على سائرِ الجزائر والتُّرَب .

فمن أراد أن يخالف ما وصف اللهُ ـ جلّ ذكرُه ـ به نفسَه ، وما منَحَ من ذلك نبيَّه ﷺ ، وما فَطَر علي تفضيله العربَ قاطبةً ، والأُمَمَ كافّةً ، لم يكن عندنا فيه إلا إكفارُه واستسقاطه .

ولم نرَ الأمةَ أبغضت جواداً قطُّ ، ولا حَقَرَتْه ، بل أحبَّتْه وأعْظَمَتْه ، بل أحَبَّتْ عَقِبَه وأعْظَمَتْ من أَجْله رَهْطَه . ولا وجَدْناهم أبغضوا جواداً حدَّ الجود إلى السَّرف ، ولا حَقَرَتْه . بل وجَدْناهم يتعلّمون مناقِبَه ، ويتَدَارسون محَاسنَه . وحتى أضافوا إليه من نوادر الجمل مالم يفعله ، ونَحَلُوه من غرائب الكرم ما لم يكن يبلغُه . ولذلك زعموا أنَّ الثناءَ فى الدنيا يُضَاعَفُ ، كما تُضاعَف الحسنَاتُ فى الآخرة . نعم ، وحتى أضافوا إليه كلَّ مديح شارِد ، وكلَّ معروف مجهول الصاحب . ثم وجدنا هؤلاء بأعيانهم للبخيل ، على ضدِّ هذه الصفة . وعلى خلاف هذا المذهب : وجدناهم يُبغضونه مرَّة ويحقِّرونه مرّة ، ويُبْغِضون بفضل بُغْضه وَلَده ، ويحتقرون بفضل احتقارهم له رهْطَه ، ويضيفون إليْه من نوادر اللؤم مالم يبلُغْه ، ومن غرائب البخل مالم يفعله . وحتّى ضاعفوا عليه من سوء الثناء[6] ، بقدر ما ضاعفوا للجواد من حسن الثناء .

وعلى أنّا لا نجدُ الجوائحَ[7] إلى أموال الأسخياء ، أسرعَ منها إلى أموال البخلاء ، ولا رأينا عددَ من افتقر من البخلاء أقلَّ .

---

(١) بقدر الجهد والطاقة .

(٢) الفقير الذى يجود بما يستطيع .

(٣) يقول : آثرت صاحبى على نفسى بإعطائه الماء فى ساعة اشتد فيها ظمئى حتى لو أن حاتماً الطائى كان معنا لبخل بما جادت به .

(٤) الحوباء : النفس . والمصافنة فى السفر : أن يقاسم الرفيق رفيقه الماء ـ وكعب بن أمامة أجد أجواد العرب ، كان مسافراً مع صاحب له فتصافنا . فلما قل عليهما الماء آثر كعب رفيقه وسقاه . وبقى هو حتى مات من الظمأ .

(٥) قبيلته .

(٦) الثناء : وصف الإنسان مدحاً .

(٧) جمع جائحة وهى الآفة .

والبخيلُ عند الناس ليس هو الذى يبخَلُ على نفسه فقط ؛ فقد يستحقّ عندهم اسمَ البحيلِ ، ويستوجب الذمّ ، من لا يدَع لنفسه هوىً إلاّ ركبَه ، ولا حاجةً إلاّ قضاها ، زلا شهوةً إلاّ ركِبها وبلغ فيها غايتَه . وإنّما يقع عليه اسم البخيل ، إذا كان زاهداً فى كلّ ما أوجبَ الشكرَ ، ونَوّه بالذكر ، وادَّخر الأجرَ .

وقد يُعَلِّقُ[1] البخيلُ على نفسه من المُؤَن ، ويُلزمها من الكُلَف ، ويتّخِذ من الجوارِى والخَدَم ، ومن الدوابّ والحشَم ، ومن الآنية العجيبة ، ومن البِزَّةِ[2] الفاخرة . والشارةِ[3] الحسَنة ، ما يُرْبِى على نَفَقَة السَّخىِّ المُثْرى ، ويَضْعُف[4] على جود الجواد الكريم . فيذهبُ مالُه وهو مذمومٌ ، ويتغير حالُه وهو مَلُوم . وربّما غلَب عليه حبُّ القِيَان[5] ، واسْتَهْتَرَ بالخصْيان[6] . وربّما أفرط فى حبّ الصيد ، واستولى عليه حبُّ المراكب[7] . وربّما كان إتلافه فى العُرْس والخُرْس[8] والوليمة ، وإسرافُه[9] فى الإعذار وفى العَقِيقَة[10] والوَكِيرة[11] . وربّما ذهبت أمواله فى الوضائع[12] والودائع .

وربّما كان شديدَ البخل ، شديدَ الحبّ للذِّكر[13] ، ويكونُ بخلُه أوشَجَ[14] ، ولؤمُه أقْبَح ؛ فينفقُ أموالَه ويُتلف خزائِنَه ، ولم يَخْرُج كَفافاً[15] ، ولم ينْجُ سليما .

كأنّك لم تَرَ بخيلاً مخدوعاً ، وبخيلاً مضْعُوفاً ، وبخيلا ممضْياعاً ، وبخيلاً نفّاجا[16] ، وبخيلاً ذهب مالُه فى البناء ، وبخيلاً ذهب مالُه فى الكِيمياء[17] ، وبخيلاً أنفقَ مالَه فى طمع كاذب ، وعلى أمل خائب ، وفى طلب الولايات ، والدخول فى القَبالات[18] ؛ وكانت فتنتُه بما يؤمِّل من الإمْرةِ[19] ، فوق فتنته بما قد حواه من الذهب والفضّة .

قد رأيناه[20] ينفق على مائدته وفاكهته ألفَ دِرْهم فى كلّ يوم ، وعنده فى كلّ يوم عُرْسٌ ؛ ولأن يَطْعنَ طاعنٌ فى الإسلام ، أهونُ عليه من أن يَطعنَ طاعِنٌ فى الرغيف الثانى ، ولَشَقُّ عصا

---

(١) يوجب .
(٢) الهيئة .
(٣) المراد بالشارة الزينة .
(٤) يزيد .
(٥) جمع قينة : وهى الأمة البيضاء .
(٦) بالبناء للمجهول : أولع .
(٧) ما يركب .
(٨) طعام يصنع ابتهاجاً بالولادة .
(٩) وليمة الختان .
(١٠) شاة تذبح فى أسبوع الولادة .
(١١) طعام يدعى إليه عند الانتهاء من بناء .
(١٢) جمع وضيعة : وهى ما يضعه الدائن عن المدين من الدين .
(١٣) لأن يذكر ويمدح .
(١٤) أشد ارتباطاً به .
(١٥) الكفاف ما يغنى عن السؤال ، والمعنى هنا أنه لم يخل من الدم .
(١٦) متباهياً .
(١٧) المراد ما كانوا يرعمونه من إمكان تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة .
(١٨) جمع قبالة . وهى الكفالة .
(١٩) الامارة .
(٢٠) المقصود بخيل من البخلاء .

الدِين ، أهونُ عليه من شقِّ رغيف . لا يَعُدُّ الثُّلْمَةَ من عِرْضه ثُلْمةً ، ويَعُدُّها فى ثريدته من أعظَم الثُّلَم .

وإنّما صارت الآفاتُ إلى أموال البخلاء أسرعَ ، والجوائحُ عليهم أكلبَ[1] ، لأنّهم أقلُّ توكُّلاً ، وأسوأ بالله ظنًّا . والجوادُ إمّا أن يكون متوكِّلاً ، وإمّا أن يكون أحسنَ بالله ظنًّا . وهو على كلّ حال بالمتوكِّل أشْبهُ ، وإلى ما أشبهه أنزعُ[2] . وكيفما دار أمرُه ، ورجَعتِ الحالُ به ، فليس ممّن يتّكل على حزمه ، ويلجأ إلى كَيْسه[3] ، ويرجع إلى جَوْدَةِ احتياطه ، وشدّة احتراسه .

واعتلالُ البخيل بالحَدَثان[4] ، وسوءِ الظنّ بتقلُّبِ الزمان ، إنّما هو كنايةٌ عن سوء الظنّ بخالق الحَدَثان ، وبالذى يُحدِث الأَزْمانَ ، وأهلَ الزمان . وهل تجرى الأَحْداثُ إلّا على تقدير المحدث لها ؟ وهل تختلف الأزمنةُ إلّا على تصريف من دبّرها ؟ أَوَلَسنا ، وإن جهلنا أسبابها ، فقد أَيْقَنّا بأنّها تجرى إلى غاياتها ؟

والدليلُ على أنّه ليس بهم خوفُ الفقر ، وأنّ الجمعَ والمنع إمّا أن يكون عادةً منهم ، أو طبيعةَ فيهم ، أنّك قد تجدُ الملك بخيلا ، ومملكتُه أوسعُ ، وخَرْجهُ[5] أدَرُّ[6] ، وعدوُّه أسكن[7] . وتجدُ أحزم منه جواداً ، وإن كانت مملكتهُ أضيقَ ، وخَرْجُه أقلَّ ، وعدوُّه أشدَّ حركةً .

وقد علِمنا أنّ الزِّنْجَ أقصرُ الناس مِرَّةً[8] ورَوِيَّةً ، وأذهلهم عن معرفة العاقبة . فلو كان سخاؤهم إنّما هو لكلَال حَدِّهم[9] ، ونقص عقولهم ، وقلّةِ معرفتهم ، لكان ينبغى لفارس[10] أن تكونَ أبخلَ من الروم ، وتكونَ الرومُ أبخَلَ من الصقالبة ، وكان ينبغى فى الرجال فى الجملة ، أن يكونوا أبخل من النساء فى الجملة ، وكان ينبغى للصبيان أن يكونوا أسخَى من النساء ، وكان ينبغى أن يكونَ أقلُّ البخلاء عقلاً ، أعقلَ من أشدِّ الأجواد عقلاً ، وكان ينبغى للكلب ـ وهو المضروبُ به المَثَلُ فى اللؤم ـ أن يكون أعرفَ بالأمور من الديك ، المضروبِ به المثلُ فى الجود[11] .

قالوا : « هو أسخى من لا فظة »[12] و « الأَمُ من كلبٍ على جيفة » و « الأَمُ من كلبِ على

---

(١) أشد .
(٢) أميل .
(٣) فطنته .
(٤) تلمسه العلل .
(٥) المزاج الذى يؤدى إليه .
(٦) أكثر .
(٧) أى غير متحفز لقتاله .
(٨) بكسر الميم أى عقلاً .
(٩) كلال الحد : للسيف ونحوه . والمراد هنا قلة الذكاء
(١٠) البلاد المعروفة .
(١١) لأنه يقدم الحب للدجاج .
(١٢) المراد باللافظة هنا : الديك لأنه يأخذ الحبة بمنقاره ويلفظها للدجاجة والتاء فى اللافظة للمبالغة .

عَرْق » . وقالوا : « أجع كلبُك يتْبَعْك » ، و « نَعِمَ كلبٌ فى بؤس أهله » ، و « سمِّن كلبَك يأكُلْك » ، و « أحرَصُ من كلب على عِقْى صَبىّ »[1] ، و « أجوعُ من كلبةِ حَوْمَلٍ »[2] ، و « لهو أَبْدَأُ من كلب » ، و « حَشَّ فُلانٌ من خُرْءِ الكلب » ، و « اخْسَأْ ! » ، كما يقال للكلب ، و « كالكلب فى الآرِىّ »[3] لا هو يعتلِفُ ، ولا هو يترك الدَّهبّة تعتلف » .

وقال الشاعر :

سَرَتْ ما سَرَتْ من ليلها ثم عَرَّسَتْ على رَجُل بالعَرْج ألأَمَ من كلب[4]

وقال الله جلّ ذِكْره : ﴿ **فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ، إنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ** ﴾[5] وكان ينبغى فى هذا القياس أن يكون المَرَاوِزةُ[6] أعقلَ البَرِيّة ، وأهلُ خُراسَانَ أَدْرَى البريّة .

ونحن لا نجد الجواد[7] يفِرُّ من اسم السَّرَف إلى الجود ، كما نجد البخيلَ يَفِرُّ من اسم البخل إلى الاقتصَاد . ونجد الشجاعَ يَفِرُّ من اسم المنهزم ، والمستحى يفرُّ من اسم الخَجِل . ولو قيل لخطيب ثابتِ الجَنان : وِقاحٌ ، لجَزِعَ ـ فلو لم يكن من فضيلة الجود إلاّ أنّ جميع المتجاوزين لحدود أصناف الخير يكرهون اسم تلك الفضْلَة[8] ـ إلا الجوادَ ، لقد كان فى ذلك ما يُبين قَدْرَه ، ويُظْهِرُ فضلَه .

المالُ فاتنٌ ، والنفسُ راغبة ، والأموالُ ممنوعة[9] ، وهى[10] على ما مُنِعَتْ حريصةٌ . وللنفوس فى المُكاثرة علّةٌ معروفة ؛ لأنّ من لا فِكرة له ولا رَوِيّة ، مَوَكَّلٌ بتعظيم ذى الثروة ، وإن لم تكن منه مَنالةٌ . وقد قال الأوّل :

وزادها كَلَفاً بالحبّ أن مُنِعَتْ أحَبُّ شىء إلى الإنسان ما مُنِعا

وفى بعض كتب الفُرْس : كلُّ عزيز تحت القدرة[11] فهو ذليل . وقالت مُعاذةُ العَدَوِيّةُ : كلّ مقدور عليه فَمَقْلِىٌّ[12] أو محقور .

---

(١) العِقى : ما يخرج من بطن الطفل حين يولد .
(٢) أمرأة كانت تجمع كلبة لها .
(٣) الآرى : محبس الدابة ، وهذا مثل يضرب لمن يتدخل فيما لا يفيده ويضيع فائدة غيره .
(٤) معنى البيت أن الناقة سارت ليلاً ثم أقامت فى آخر الليل للراحة فكان نزولها على رجل ببلدة العرج الأم من كلب .
(٥) سورة الأعراف : ١٧٦ .
(٦) جمع مروزى : نسبة إلى مرو ، وقد اشتهروا بالبخل .
(٧) الكريم .
(٨) الفضيلة هنا : تجاوز حد الفضيلة .
(٩) عسيرة المنال .
(١٠) النفس .
(١١) أى يقدر عليه .
(١٢) مبغض .

ولو كانوا لأولادهم يجمعون ، ولهم يكُدُّون ، ومن أجلهم يَحرِصون ، لجعلوا لهم كثيرا مما يطلبون ، ولتركوا محاسبتَهم فى كثير مما يشتهون . وهذا بعضُ ما بغَّض بعضَ المَوَرِّثين إلى الوارثين ، وزهّد الأخلافَ فى عُمُرِ الأسلاف .

ولو كانوا لأولادهم يُمهِّدون ، ولهم يجمعون ، لمَا جمع الخصيانُ الأموالَ ، ولَمَا كنَزَ الرهبانُ الكنوزَ ، ولاستراح العاقرُ من ذلِّ الرغبة ، ولسلمِ العقيمُ من كدِّ الحِرْص . وكيف ؟ ونحن نجده بعد أن يموتَ ابنهُ الذى كان يعتلُّ به ، والذى من أجله كان يجمع ، على حاله فى الطلب والحرص ، وعلى مِثْل ماكان عليه من الجمع والمنع .

والعامةُ[1] لم تُقصِّر فى الطلب والحُكْرة[2] ، والبخلاءُ[2] لم يحُدّوا شيئا من جُهْدهم[3] ، ولا أعْفَوْا[4] بعد قدرتهم ، ولا قَصَّروا فى شىء من الحِرْص والحصر[5] . لأنهم فى دارِ قُلْعَةٍ[6] ، وبِعَرَض نُقْلةٍ[7] . حتى لو كانوا بالخلود موقنين ، لأغفلوا تلك الفُضُولَ[8] .

فالبخيلُ مجتهد ، والعامىّ غير مقصِّر . فمن لم يستعِن على ما وصفنا بطبيعةٍ قويّة ، وبشهوةٍ شديدة[9] ، وبنظرٍ شافٍ ، كان إمّا عاميًّا ، وإمّا بخيلاً شقيّا ـ فَفِيمَ اعتلاَ لهُم بأولادهم ، واحتجاجهُم بخوف التلوّن من أزمنتهم ؟

قال رسول الله ﷺ لوافدٍ كذَب عنده كَذْبةً ، وكان جواداً : لولا خَصْلةٌ وَمِقَكَ[10] الله عليها ، لشَرَدْتُ بك[11] من وافِد قوم . وقيل للنبىّ ﷺ : هل لك فى بِيض النساء وأدْمِ الإبل[12] ؟ قال : ومَنِ هم ؟ قال : بنو مُدْلِج[13] قال : يمنعنى من ذاك قِرَاهم الضيفَ ، وصلتهُم الرَّحِمَ . وقال لهم أيضاً : إذا نحرُوا ثَجُّوا[14] ، وإذا لَبَّوْا عَجُّوا[15] . وقال للأنصار : مَنْ سيّدُكم ؟ قالوا : الحرُّ بنُ قيس . على أنه يُزَنُّ فينا ببخل ، فقال : وأىُّ داء أدْوأ من البخل ؟ ثم جعله من أدْوَإِ الداء . وقال للأنصار : أمَا واللهِ ما علِمتكم إلا لتَكثُرون عند الفَزَع ،

---

(١) جعل العامة مثل البخلاء .
(٢) الاحتكار .
(٣) فى جمع المال .
(٤) انفقوا العفو : الزائد من المال .
(٥) البخل .
(٦) أى دار القلاع والارتحال .
(٧) أى فى دار يعرض فيها التنقل . وهى الدنيا التى لا تدوم على حال .
(٨) ما يزيد على حاجتهم .
(٩) ميل شديد إلى التخلص من تلك الصفات .
(١٠) أحبك .
(١١) لطردتك .
(١٢) الأدم : جمع أدم . والأدمة فى الإبل : لون يميل إلى البياض . والمراد هل لك فى غزوهم .
(١٣) قبيلة من كنانة .
(١٤) اسالوا دماء الذبائح .
(١٥) التلبية فى الحج . وعجوا بمعنى صاحوا .

وتَقِلّون عند الطمع . وقال : كفى بالمرء حِرصا ركوبُه البحرَ[1] . وقال : لو أنّ لابن آدم واديَيْن من مال لا بتغى ثالثاً ، ولا يُشْبِع ابنَ آدم إلاّ التراب ، ويتوبُ اللهُ على من تاب . وقال : السخاءُ من الحَياء ، والحياءُ من الإيمان . وقال : إنّ الله جوادٌ يُحبّ الجود . وقال : أَنْفِقْ يا بلالُ ، ولا تخش من ذى العرش إقلالاَ . وقال : لا تُوكِى[2] فَيُوكَى عليكِ . وقال : لا تُحْصِ فيُحصَى عليك . وقالوا : لا ينفَعُك من زادٍ ما تبقّى .

ولم يُسَمِّ الذهبَ والفضّةَ بالحجرين إلّا وهو يريد أن يضَع من أقدارهما ، ومن فتنَةِ الناس بهما . وقال لقَيْس بنِ عاصم : إنّما لك من مالك ما أكلت فأفْنَيتَ ، وما لبستَ فأَبلَيْتَ ، أو أعطيتْ فأَمْضَيْت . وما سِوَى ذلك فللوارث .

وقال النَّمِرُ بنُ تَوْلَبٍ :

وحتّتْ[3] على جمْعٍ ومنعٍ ونفسُها ... لها فى صُروف الدهرِ حُقٌّ كذوب
وكائِنْ رأينا[4] من كريمٍ مُرَزَّإٍ ... أخى ثِقةٍ طَلْق اليدين وَهُوب
شهِدْتِ وفاتونى . وكنتُ حسِبْتُنى ... فقيراً إلى أن يشهدوا وتغيبى
أعاذلُ[5] إن يُصْبِحْ صَدايَ بقفْرةٍ ... بعيداً نآنى[6] صاحبى وقريبى
تَرَىْ أنّ ما أبقيتُ لم أكُ ربَّه ... وأنّ الذى أمضيتُ كان نصيبى
وذى إبلٍ يسعَى ويحسَبُها له ... أخى نصَبٍ فى رعيِها ودُءُوب
غدتْ وغدا ربٌّ سواه يسوقُها ... وبُدِّل أحجاراً وجالَ قَليب[7]

وقال أيضاً :

قامت تَبَاكَى أن سَبَأتُ لِفتْيَةٍ ... زِقًّا وخابيةً بعَوْدٍ مُقْطَعِ[8]
وقَرَيتُ فى مِقْرًى قلائصَ أربعاً ... وقريتُ بعد قِرًى قلائصَ أربعِ[9]
أتَبكِّياً من كلِّ شىءٍ هيِّنٍ ؟ ... سفَهُ بكاءُ العين ما لم تدمَع
فإذا أتانى إخوتى فدعيهِمُ ... يتعلّلُوا بالعيش أو يَلْهُوا معى

---

(١) سعيا وراء المال .
(٢) أى لا تبخل ، والإيكاء : شده فم القربة بحبل .
(٣) زوجته .
(٤) كم رأينا .
(٥) ما من تعذلينى وتلومينى .
(٦) نأى عنى .
(٧) الجال ناحية القبر ، والقليب : البئر والمراد هنا القبر .
(٨) تباكى : تتباكى ، وسبأت : اشتريت ، والزق : وعاء من جلد ، والخابية : الجرة الكبيرة . والعود : البعير المسن ، والمقطع : الذى قام من الهزال .
(٩) قريت : المراد أطعمت ، والمقرى : وعاء يقدم فيه الطعام للضيف . والقلائص : النياق الصغيرة .

لا تطردیهم عن فراشی ؛ إنّهُ ... لابُدّ یوماً أن سیخلو مضجَعی
هلاَّ سألتِ بعادِیاء[1] وبیتِهِ ... والخیلِ والخمر التی لم تُمنَع

وقال الحارثُ بن حِلِّزَة :

بینَا الفتی یسعَی ویُسعَی له ... تاحَ[2] له من أمره خالجُ[3]
یترکُ ما رقَّح من عیشه ... یعبَثُ فیه هَمَجٌ هامجُ[4]
لا تکسَعِ الشَّوْلَ بأغبارها ... إنّك لا تدری مَن الناتج[5]

وقال الهُذَلیُّ :

إنّ الکرام مُناهِبُوا[6] ... لكَ المجدَ کلَّهم فنَاهِبْ
أخلِفْ وأتلِفْ ؛ کلُّ شَیْ ... ءٍ ذرَّعَتْه[7] الریحُ ذاهبْ

وقالت امرأة :

أنتَ وهبتَ الفِتْیةَ السَّلاهِبْ[8] ... وإبلاً یَحارُ فیها الحالبْ
وغَنَماً مثلَ الجراد الهاربْ ... متاعُ أیام ، وکلُّ ذاهب

وقال تمیم بن مُقْبِل .

فأخلِفْ وأتلِفْ ؛ إنّما المالُ عارَةٌ[9] ... وَکُلْهُ مع الدهر الذی هو آکلُه

وقال أبو ذَرٍّ : لك فی مالِك شریکان : الوارثُ والحَدَثان .

وقال الحُطَیْئَةُ :

من یَفْعلِ الخیرَ لا یعدَمْ جوازیَهُ[10] ... لا یذهبُ العُرفُ بین اللهِ والناس

وجاء فی الأثر : إنّ أهلَ المعروف فی الدنیا أهلُ المعروف فی الآخرة . وفی المَثَل : اصنَع الخیرَ

---

(١) عادیاء : أبو السمؤال . وسألت به أی عنه .
(٢) تاح : تهیأ .
(٣) منتزع : والمراد الموت
(٤) ترقیع العیش : إصلاحه . والهمج : الحمق . وهامج : توکید مثل لیلة لیلاء .
(٥) الشول : جمع شائلة . وهی الناقة التی قل لبنها . وکسعها : ترك فی ضرعها بقیة من اللبن . والاغبار : جمع غبر . وهو بقیة اللبن فی الضرع . والناتج : الذی یتلق ولد الناقة عند الولادة .
(٦) مسابقوك .
(٧) حرکته .
(٨) الخیل العظیمة .
(٩) عاریة تستعار ثم ترد .
(١٠) الله تعالی .

ولو إلى كلب : وقال فى الحثّ على القليل ، فضلا على الكثير : قال الله جلّ ذكرُه : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ . وقالت عائشةُ فى حَبّةِ عنب : إنّ فيها لمثاقيلَ ذَرٍّ . ولذلك قالوا فى المَثَل : من حَقَر حَرَم[1] . وقال سَلْمُ ابنُ قُتَيْبَةَ : يستحى أَحَدُهم من تقريب القليل من الطعام ، ويَأْبَى أعْظَمَ منه . وقال : جُهْد المرء أكثرُ من عَفْوه[2] وقدّم رسولُ الله ﷺ جُهْدَ المُقِلِ على عفو المُكْثِر ، وإن كان مبلَغُ جُهْدِه قليلا ، ومَبْلَغُ عفْو المُكْثِر كثيراً . وقالوا : لا يمنعْك من معروف صِغَرُه . وقال النبىّ ﷺ : « اتّقوا النارَ ولو بِشقِّ تمرة » . وقال : « لا تردِّوا السائلَ ولو بِظِلْفٍ مُحْرَق » وقال : « لا تردّوه ولو بِفرْسِن[3] شاة » . وقال : « لا تحقِّروا اللقمةَ ؛ فإنّها تعود كالجبل العظيم » ، لقول الله جلّ ذِكْره : ﴿ **يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِى الصَّدَقَاتِ** ﴾ . وقال : « لا تردوه ولو بِصلَةِ حبل » .

وقالت العرب : أتاكم أخُوكم يَسْتَتِمُّكم[4] ، فأتمّوا له . وقالوا : مانع الإتمام أَلْوَمُ . وقالوا : البخيلُ إن سأل أَلْحَفَ ، وإن سُئِل سَوّف . وقالوا : إن سُئِل جَحَد ، وإن أعطَى حَقَد . وقالوا : يردُّ قبل أن يسمَع ، ويغضَبُ قبل أن يَفْهم . وقالوا : البخيلُ إذا سُئِل ارتز[5] ، وإذا سُئِل الجوادُ اهْتَزّ . وقال النبىّ ﷺ : ينادِى كلَّ يوم منادِيان من السماء : يقولُ أَحدُهما : اللّهمّ عجِّل لمنْفقٍ خَلَفاً ، ويقول الآخَر : اللّهم عجِّل لممْسِكٍ تَلَفًا » . وقالوا : شرُّ الثلاثة المُلِيم[6] ، يمنَع دَرّه ودَرّ غيره . وقال اللهُ جلّ ذِكرُ : ﴿ **الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ** ﴾ وقالوا فى المَثَل ـ إن ألجأك الدّهرُ إلى بخيل : شرُّ ما أَلْجأَكَ إلى مُخَّة عُرْقوب[7] . وقال النبى ﷺ : « قُلِ العَدْلَ ، وأعط الفَضْلَ » . وقال النبىُّ ﷺ : « أنهاكم عن عقوق الأمهاتِ ، ووَأْدِ البناتِ ، ومنعٍ[8] وهاتِ » وقال الله عز وجَلّ : ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ على حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً** ﴾ . وقال : ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ . وقال : ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**[9] . **وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نفسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ . وقالوا فى

---

(١) أى من استصغر شأن القليل فلم يبذله حرم المحتاج .
(٢) ما يفضل عن حاجته ، اى ما يبذله عن جهد وقلة أكثر ثوابا مما يبذله عن سعة .
(٣) الفرس للبعير كالحافر للدابة .
(٤) يطلب منكم صوفاً أو نحوه ليتم به نسج كساك . (٥) أمسك .
(٦) المعطى والأخذ ومن يلوم المعطى ، والمليم بضم الميم الأولى من يلوم المعطى .
(٧) العرقوب فى رجل الدابة بمنزلة الركبة . والمخة : القطعة من المخ . وليس فى العرقوب مخ . فاللاجىء إليه بائس . وما يلجىء إليه شر .
(٨) منع للمعروف . (٩) أى قول هات ، والمقصود الإلحاف فى السؤال .

الصبر على النائبة . وفى عاقبة الصبر : عند الصباحِ يَحْمَدُ القَوْم السُّرَى . وقالوا : الغَمَرات ثم يَنجلين[1] .

وقال الخُزَيْمِىّ :

ودُونَ النَّدَى فى كلِّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ ... بها مَصْعَدُ حَزْن ومُنْحَدَرٌ سَهْلُ[2]
وَوَدّ الفتى فى كل نيْل[3] يُنيلُه ... - إذا ما انْقَضَى - لو أنّ نائلَه جَزْلُ[4]

وقالوا : خير الناس ، خيرُ الناس للناس ، وشرُّ الناس ، شرّ الناس للناس . وقالوا : خير مالِك ما نَفَعَك . وقالوا : عَجَباً لِفَرْط الكَبْرَةِ ، مع شباب الرغبة[5] !

وقال الراجز :

كلُّنا يأمُلُ مدًّا فى الأجل ... والمنايا هى آفات الأمل

وقال عُبَيْد الله بنُ عِكْراش : زمنٌ خوْن ، وَوَارِثٌ شَفُون[6] . وكاسبٌ حزون[7] ، فلا تأمنِ الخوْنَ ، وكن وارثَ الشَّفُون[8] . وقال : يهْرَمُ ابنُ آدمَ ويشِبُّ معه خَصْلتان : الحِرْصُ والأَمَلُ .

وكانوا يَعيبُونَ من يأكُلُ وحْدَهُ . وقالوا : ما أَكَلَ ابن عُمَرَ وحدَه قطُّ . وقالوا : ما أكل الحَسَنُ وحدَهُ قَطُّ . وسَمِع مُجاشِعٌ الرَبَعِىُّ قولَهم : الشحيحُ أعذرُ[9] من الظالم ، فقال : أخزَى اللهُ أمرين خيرُهما الشُّحّ . وقال بكرُ بنُ عبد الله المُزَنِىُّ : لو كان هذا المسجد مُفْعَماً بالرجال ، ثم قيل لى : مَنْ خيرهم ؟ لقلتُ : خيرهُم لهم . وقال النبى ﷺ : « ألا أُنبِّئُكم بِشِراركُم ؟ قالوا : بَلَى يا رسولَ الله . قال : من نزَلَ وَحْدَه ، ومَنَعَ رِفْدَه ، وجَلَدَ عَبْده » وقالت امرأة عند جَنازةِ رجل : أَمَا والله ماكان مالُكَ لبَطْنِكَ ، ولا أَمْرُك لِعِرْسِك[10]

---

(١) الغمرات هى الشدائد والمعنى تأتى الشدائد ثم تذهب .
(٢) الثنية (بتشديد الياء) : المرتفع أى أن الكرم شاق على النفس .
(٣) عطاء .
(٤) أى يود لو أنه أعطى كثيراً .
(٥) المراد التعجب من أن يكون للهرم رغبة الشباب فى المال .
(٦) الكاره لحياة مورثه .
(٧) أى شىء الحلق .
(٨) أى أنفق حتى لا تترك له شيئاً .
(٩) أولى بالعذر .
(١٠) لزوجتك .

فلَمَّا بلغت الرسالةُ ابنَ التوْأَم [1] ، كرِه أن يُجيب أبا العاص ، لِمَا فى ذلك من المناقشة والمباينة ، وخاف أن يترقَّى الأمرُ إلى أكْثَر من ذلك . فكتب هذه وبعثَ بها إلى الثقفى :

* رسالة ابن التوأم إلى الثقفى :
وهى إجابة عن رسالة أبى العاص :

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعدُ ، فقد بلغنى ماكان من ذكر أبى العاص لنا ، وتنويهِه [2] بأسمائنا ، وتشنيعِه علينا . وليس يمنعنا من جوابه إلّا أنّه إن أجابنا لم يكن جوابُنا إيّاه على قوله الثانى ، أحقَّ بالترك من جوابنا له على قوله الأوّل . فإن نحن جعلنا لابتدائه جوابا ، وجعلنا لجوابه الثانى جوابا ، خرجنا إلى التهاتر [3] وصِرْنا إلى التخابر [4] . ومَنْ خَرَج إلى ذلك فقد رضِىَ باللَّجاج حَظّا ، وبالسُّخْف نصيبا .

وليس يحْترس من أسباب اللَّجاج إلّا منْ عَرَف أسبابَ البُلْوَى . ومن وقاه الله سوءَ التَّكَفِّى [5] وسُخْفَه ، وعصمه من سوء التصميم ونكَدِه ، فقد اعتدلت طباعُه ، وتساوت خواطره . ومن قامت أخلاطُه [6] على الاعتدال ، وتكافأَتْ خواطرُه فى الوزن ، لم يَعْرِف من الأعمال [إلّا] الاقتصادَ ، ولم يَجِدْ أفعاله أبَداً إلّا بين التقصير والإفراط [7] ؛ لأَنَّ الموزونَ لا يولد إلّا موزوناً [8] ، كما أنّ المختلف لَا يُوَلِّد إلّا مختلفا . فالمتتابعُ [9] لا يَثْنيه زَجْرٌ ، وليست له غاية دونَ التلف . والمتكَفِّى [10] ليس له مَأْتًى ولا جِهَة ، ولا له رُقْية ، ولا فيه حيلة . وكل متلوّنٍ فى الأرض فمنحَلّ العَقْد ، مُيَسَّرٌ لكلّ ريح .

فَدَعْ عنك خِلْطَةَ الإمَّعَة ، فإنّه حارص [11] لا خير فيه ؛ واجتنب ركوب الجَمُوح ذى

---

(١) جاء ذكر ابن التوأم فى أول الرسالة ، إذ قال كاتبها أبو العاصى : « واختلافك إلى ابن التوأم » .
(٢) المراد بالتنويه هنا مجرد الذكر .
(٣) الترامى بالتهم .
(٤) التغالب فى العلم والمعرفة .
(٥) المايل والمراد الميل عن الصواب .
(٦) الأخلاط فى الطب القديم : الدم والبلغم والصفراء والسوداء والمراد المزاج .
(٧) الذى بينهما : الاعتدال .
(٨) بتشديد اللام وكسرها .
(٩) المسرع إلى الشر .
(١٠) المستبد برأيه .
(١١) ملتهم .